

لا يستحق لبنان من لا يعرف قيمته

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

إن من يتتبع الحالة الانحدارية للأوضاع العامة في وطننا المحتل بشكل يومي راصداً أساليب تفاعل نسبة كبيرة من اللبنانيين معها لا بد وأنه سيصاب بحالة من الذهول مصحوبة بشعور عارم من الأسى والحيرة، وربما اليأس والقرق. فلبنان في طريقه إلى الزوال بكل ما جسده من قيم وحضارة وعلم، فيما الكثير من أهلنا وخصوصاً في بلاد الانتشار، يكتفون بملامة الغير، ويتهربون من مواجهة الحقيقة والشهادة للحق، مكتفين بدور المتفرج عن بعد. كما أن نسبة لا بأس بها منهم متمسكة بأحزاب معطلة الفاعلية تخطتها الأحداث وأفقدتها مبررات وجودها ولم يبقى منها سوى أسماء مفرغة من معانيها وقيادات متعاملة مغربة عن قواعدها جاحدة بكل المبادئ والثوابت الوطنية والأخلاقية. هذا إضافة إلى أقلية وصولية وغوغائية مأجورة معروضة في سوق النخاسة تداهن المحتل وتسبح بحمده ليلاً نهاراً وتشيد بعبقرية قيادته راضية بدور الممسحة والبوق.

إن لبنان الذي طالما تغنينا بفسحة الحرية فيه وفاخرنا بنظامه التعايشي واقع منذ سنة ١٩٩٠ بين المطرقة السورية والكماشة الإسرائيلية وحكم لدمى، وهو لم يشهد في تاريخه المديد استعماراً أخطر من الاستعمار الحالي حيث أن كل الذين احتلوه من التركي إلى الروماني إلى التنري والفرنسي وغيرهم لم تكن لديهم خطط لاستبدال شعبه بشعوب أخرى كما هو الحال مع المستعمرين الحاليين وخصوصاً الشقيق منهم، وهنا ممكن الخطر الأعظم، وإن استمرت الأوضاع على ما هي عليه لمدة أطول فوطن الأرز إلى زوال لا محالة كدولة مستقلة وككيان مميز وهوية فريدة، خصوصاً وأن المؤامرة السورية-الإسرائيلية عليه، المباركة أميركياً قد انكشفت للجميع منذ أن استأنفت محادثات السلام نهاية السنة الماضية في الولايات المتحدة وبرعايتها. فقد أبقى لبنان خارجها وألغى دوره فيما يتم البحث بملفات خطيرة: من حدود ومياه وتطبيع وسلاح ولاجئين، وهو معني بها أكثر من الجميع. إن المحادثات هذه تتم بغيبابه والاتفاق السوري - الإسرائيلي الذي أصبح شبه جاهزاً سيكون ضد مصالحه وضد رغبات شعبه. إما متولو الحكم في بيروت فيكتفون بتنفيذ فرمات الشقيقة راعين صاغرين وإلا مصيرهم الطرد من جنة الحكم واستبدالهم بغيرهم من الراكعين وما أكثرهم.

إن الهجمة السورية-الإسرائيلية-الأصولية المنظمة على لبنان ليست فقط على إنسانه الذي أفقر وهجر وأضطهد ويتم استبداله بمئات الآلاف من الطائنين، بل على تاريخه وهويته وأمنه وعلى استقراره وديموغرافيته تحديداً. إن أحداث الشمال الأخيرة وما رافقها وما سبقها من أعمال بربرية وظهور للسلاح الثقيل ونزول المسلحين إلى الشوارع في الشمال والجنوب والبقاع كلها أعمال تفضح المؤامرة وتكشف هوية مدبريها. وفي نفس السياق جاء نشر الدراسة التي أعدها رئيس الوفد الإسرائيلي المفاوض مع سوريا "يوري ساغي" والذي أقرح فيها على إسرائيل والولايات المتحدة الاعتراف باحتلال سوريا للبنان وتسليمها مسؤولياته بالكامل. كما أن الدعوات المشبوهة الأخيرة لإلغاء الطائفية السياسية والتي جاءت من قيادات تسبح بالطائفية والتبعية ليست ببعيدة عن خيوط المؤامرة عينها. وفي نفس الوقت لا يمكن إلا أن نربط المؤامرة هذه بسياسة إغراق أسواقنا بالمنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية المهربة عن طريق

سوريا بهدف تحويل حقولنا وسهولنا إلى أرض بور وسلخ اللباني عن أرضه المقدسة. وكيف يمكن أن نغفل البيانات الجريئة التي صدرت خلال السنة الماضية عن مزارعي الجنوب والشمال والصناعيين والنقابات مطالبة بوضع حد لجريمة إغراق السوق اللبنانية بالمنتجات المهربة. لقد أصبح لبنان مزرعة، لا بل غابة للطائرين الذين يقومون بغزواتهم المسلحة فيه في وضح النهار فيعتدون على المواطنين في محلاتهم وبيوتهم وعلى الطرقات ويرتكبون الجرائم دون حسيب أو رقيب، هذا والكل في لبنان يعرف جنسية المجرمين دون أن يتمكن أحد من وقف دورة القتل والتعديت والإهانات.

أنه ورغم كل ما يحل بالوطن نرى لبنانيين يعيشون في كندا وأستراليا وأميركا وبأقي بلدان الاغتراب يدافعون بشراسة عن مستعمري وطنهم ويتعاملون عن الحقائق وكأن لبنان عدوهم وهمهم الأول والأخير تدميره والقضاء على تجربته الحضارية الفريدة. ترى هل أصيب البعض من شعبنا بلوثة عقلية-نفسية من أعراضها نكران الذات والهوية والتاريخ لمصلحة الغريب؟ وإلا كيف يعقل أن يتبنى فريق منا مفاهيم وقيم بالية؟ وكيف يمكن أن نفسر قبوله الطوعي بتسليم رقبتة للجزار، وكيف نبرر قبوله بل مشاركته في الإرهاب الفكري والجسدي الذي يتعرض له أبناء شعبنا أفراداً وقيادات وطلاب وصحافيين، أليس في كل هذا إجرام وانتحار ونفاق؟ إن ما يتعرض له لبنان من جور فاق كل وصف والمشكلة أن الكثير من أهله وتحديداً من هم في بلاد الاغتراب يقفون موقف المتفرج أو أنهم يساندون المعتدي. أليست مأساة أن يصبح الإنسان عدو نفسه؟ إن شعبنا أمامه خياران لا ثالث لهما فإما التحرك والبدء بالمواجهة، وإما الاستمرار بالخنوع وترك الوطن للطائرين ليفترسوه.

إن ما حل وما سيحل بنا هو من خيارنا، وإن أردنا أن نلوم، فلا يجب أن نلومنا إلا أنفسنا، فمن لا يعرف قيمة وطنه ويدافع عنه لا يستحقه.
عشتم وعاش الحق والمدافعين عنه